**الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية**

**وزارة التعليم والبحث العلمي**

**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية- قسنطينة**

**الدكتور: مسعود بودربالة**

**استاذ محاضر في أنثروبولوجيا ومقارنة الاديان**

**كلية أصول الدين – قسم العقيدة ومقارنة الأدين**

**جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية . قسنطينة .**

*** دكتورة علوم في مقارنة الأديان – جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة**

*** دكتورة علوم في الأنثروبولوجية الدينية - جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان**

**الإيمايل:** messaoudb04@gmail.com **الهاتف:** 0668984278

**المحور الثاني: مناهج التأريخ للآراء الكلامية والمقارنة بينها.**

**عنوان المداخلة : المناهج الأنثروبولوجية في قراءة تاريخ الآراء الكلامية.**

**ملخص**

يرى علماء الأنثروبولوجية أن استعراض علم الكلام بتقسيماته عبر رحلة كلامية طويلة ارتبطت مع مفاهيم عديدة منها الله والإنسان، والطبيعة والسياسة، والدين والتاريخ، وأن تقسيم الآراء الكلامي لمراحل وأطوار مختلفة يشير بحد ذاته إلى تبويب يحمل في داخله جهد فكري منظم، له تاريخ وقواعد تحتاج لأن تُبحث على أساس أنها فكر أنثروبولوجي جدير بالبحث في الجانب التاريخي وتداخلاته، حيث يشكل فيه علم الكلام القديم من زوايا الآراء والافكار والفرق المناقشة وما خلفته هذه الحركة وذلك التوجيه من أهمية تمهد للتساؤل بالأدوات الأنثروبولوجية التي تمثل قراءة تاريخ الكلام من منظور ما أنتجه الفكر البشري.

انطلاقا من هذا يمكن أن نضع مجموعة من التساؤلات لدراسة الموضوع وتحليل أبعاده، ومنها:

- كيف ينظر علماء الأنثروبولوجية إلى نشأة علم الكلام، ومبرراته؟

- ماهي الآليات التي ندرس بها علم الكلام أنثروبولوجيا؟

- ماهي مبررات التجديد في علم الكلام من المنظور الأنثروبولوجي؟

الكلمات المفتاحية: الانثروبولوجية، الحدث التاريخي، الآراء الكلامية

Summary

Anthropologists believe that presenting the science of theology with its divisions through a long verbal journey linked to many concepts, including God and man, nature and politics, religion and history, and that the verbal division of opinions into different phases and phases indicates in itself a classification that carries within it an organized intellectual effort, with a history and rules that need to be... It is researched on the basis that it is an anthropological thought worthy of research in the historical aspect and its interactions, as it constitutes the science of ancient speech from the angles of opinions, ideas, and discussion groups, and what was left behind by this movement and that guidance is important, paving the way for questioning the anthropological tools that represent reading the history of speech from the perspective of what human thought has produced.

Based on this, we can put a set of questions to study the topic and analyze its dimensions, including:

- How do anthropologists view the emergence of theology and its justifications?

- What are the mechanisms by which we study anthropological theology?

- What are the justifications for innovation in theology from an anthropological perspective?

Keywords: anthropology, historical event, verbal opinions.

## نص المداخلة

### تمهيد

نشأ علم الكلام في الإسلام لأسباب عدة، وليس هناك سبب بعينه، فقد تضافرت عوامل مختلفة وتكاثفت، فكان على الصورة التي نراها في تاريخ الفكر الإسلامي، وقد تراوحت الأسباب بين ما هو داخلي نابع من داخل جماعة المسلمين، وما هو وافد من المحيط الفكري الذي كان سائدا يومها، هذه العوامل في مجملها ساهت في ظهور هذا العلم كباقي العلوم الإنسانية، فمثّل ظاهرة فكرية وعلمية نشأت في المجتمع الإسلامي، وبالنظر إلى واقع عصر النبوة فقد كان القرآن الكريم مصدر الدعوة إلى التوحيد والنبوة وأشار إلى الفرق والأديان التي كانت منتشرة، وبيّن الأقوام التي كانت منكرة للأديان والإلهيات والنبوات، ورد عليهم بمختلف الدلائل.

كما عرض الشرك بجميع أنواعه، وحمل على الذين قالوا بعبادة الأوثان وأشركوها مع الله، وحكى عن قوم أنكروا النبوات، ورد عليهم وعن قوم أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ورد عليهم.

ورد عن قوم أنكروا الحشر والنشر، إلى غير ذلك من المسائل الغيبية، وقد اهتم القرآن بالتوحيد لأن الإسلام هو دين التوحيد، إذ يقول تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }[1]، وهو-أي التوحيد- القضية الأساسية التي يدور حولها القرآن، فالآية السابقة هي أساس دليل التمانع عند المتكلمين، وبيّن مسائل التكليف والجبر، والاختيار وأبان الحجة فيها، فكان طبيعيًا أن ينهج علماء الملة هذا المنهج فيردوا على المخالفين، ويتوسعوا في الدفاع توسع المخالفين في الهجوم، ويجددوا الحجج في الرد كلما جدد المخالفون الحجج في الطعن، فكان هذا من أسباب نشوء "علم الكلام".

من هنا تتضح جملة من العوالم ذات البعد الأثروبولوجي والتي ساهمت في ظهور علم الكلام الإسلامي، حيث تشكلت النواةُ الأولى لعلم الكلام في مناخاتٍ استفهاميةٍ اكتنفها جدل، وتأمل، في مداليل آياتٍ قرآنيةٍ متشابهةٍ، تتناول مسائل حيوية كالإمامة، وحقيقة الإيمان، ومع بالقضاء والقدر، ثم انفتحت، في إيقاعٍ متوتّرٍ، على تساؤلاتٍ تتصل بإثبات وجود الله، وتفسر معاني التوحيد، والصفات الإلهية، فعلم الكلام منذ نشأته الأولى ارتبط بوقائع صاحبت مسيرته، فكان وليد مشكلات نجمت عن أحداث واكبت الفتوحات الإسلامية، وتوسع الدولة الإسلامية الفتية، كما أدت بعض الأسباب السياسية إلى ظهور كثير من الأسئلة والأفكار المرتبطة بالدين والعقيدة.

---

1- سورة الأنبياء، الآية: 22

## تطور مفهوم علم الكلام تاريخيا:

ينظر علماء الأنثروبولوجية إلى أن المفاهيم والمصطلحات تتغير حينا وتتطور حينا آخر تبعا لتغير وتطور الفكر الإنساني، كما أن الفكر الإنساني يتأثر بالبيئة التي يعايشها، ويضبط كثيرا من المفاهيم وفقا لمتطلبات ذلك العصر، لذلك عندما نتناول الجوانب التاريخية في السياق الأنثروبولوجي نقوم بتتبعها تاريخيا لمعرفة تغير مفاهيمها تبعا لكل عصر سادت فيه، من هذا المنظور يرى علماء الأنثروبولوجية أن استعراض علم الكلام بتقسيماته عبر رحلة كلامية طويلة ارتبطت مع مفاهيم عديدة منها الله والإنسان، والطبيعة والسياسة، والدين والتاريخ، وأن تقسيم الآراء الكلامي لمراحل وأطوار مختلفة يشير بحد ذاته إلى تبويب يحمل في داخله جهد فكري منظم، له تاريخ وقواعد تحتاج لأن تُبحث على أساس أنها فكر أنثروبولوجي جدير بالبحث في الجانب التاريخي وتداخلاته، حيث يشكل فيه علم الكلام القديم من زوايا الآراء والافكار والفرق المناقشة وما خلفته هذه الحركة وذلك التوجيه أهمية تمهد للتساؤل بالأدوات الأنثروبولوجية التي تمثل قراءة تاريخ الكلام من منظور ما أنتجه الفكر البشري.

ولنستعرض أهم المفاهيم الاصطلاحية لعلم الكلام عبر مراحل تاريخية:

- تعريف أبو حنيفة النعمان رحمه الله ( ت 150 ه) حيث سماه " الفقه الأكبر"[2] كما ذكر ذلك في كتابه ( الفقه الأكبر)، حيث يرى أن الفقه في الدين أعظم وأجل من الفقه في العلم[3]، و أن الفقه في الدين أصل والفقه في العلم فرع.[4] لذلك يرى شارح ( الفقه الأكبر) أن موضوع الفقه الأكبر يختص موضوعه بالاعتقادات.[5]
- تعريف أبي نصر الفارابي ( ت 339 ه) في كتابه (إحصاء العلوم)، بقوله " و صناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل، وهذه الصناعة تنقسم جزئين أيضا: جزء في الآراء، وجزء في الأفعال، وهي غير الفقه لأن الفقه يأخذ الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة مسلّمة، ويجعلها أصولا،

---

2- صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم. تحقيق عبد الجبار زكار. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1978. ج2، ص 68

3 - أبو منصور السمرقندي، شرح الفقه الأكبر. مراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الدوحة. ص 10

4 - السمرقندي، المرجع نفسه ص 10

5 - كمال الدين البياضي، إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. 2007. ص 15

فيستنبط منها الأشياء اللازمة عنها، والمتكلم ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولا من غير أن يستنبط من شيئا آخر"[6]

فتعريف الفارابي يجعل من علم الكلام فنا وصناعة يقوم عليها متخصصون مهمتهم نصرة الآراء التي وضعها صاحب الملة، فتعريف الفارابي من خلال ما ذكر لا يخص قانون الإسلام وحده بل من خلال منطور فلسفي للدين، وهذا للتمييز بين منطق النظر الكلامي ومنطق النظر الفلسفي.

- تعريف أبي حامد الغزالي (ت 505 ه) يعرف علم الكلام في كتابه ( المنقذ من الضلال) بقوله: " إنما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها من تشويش أهل البدعة، فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق على ما فيه من صلاح دينهم ودنياهم، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة فلهجوا بها، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها، فأنشأ الله طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة، فمنه نشأ علم الكلام وأهله"[7]

فبيّن أن علام الكلام سخرهم الله لحماية السنة من بدع المبتدعة الضالين، نتيجة ظهور انحرافات كثيرة في المجتمع في الاسلامي بسبب تركيبة المجتمع الجديد بعد دخول أهل الأديان الضالة والفلسفات المختلفة، واعتبر هذا العلم محاجة للكفار ومجادلتهم، كما أن هذا المرتب يحتاج إلى آلة تنظمه، وهي المنطق، لذلك سعى الغزالي إلى إدراج المنطق ضمن حقل المعرفة الإسلامية لتوظيفه في نصرة أهل السنة.

- تعريف الشهرستاني ( ت548ه ) فيسمي علم الكلام بعلم الأصول، فيقول " قال بعض المتكلمين الأصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم، وبالجملة كل مسألة يتعيّن الحق فيها بين المتخاصمين، فهي من الأصول، ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسما إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة فكان فروعيا، فالأصول هو موضوع علم

6 - أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم. المركز القومي للإنماء، بيروت، لبنان. 1991. ص 41

7 - أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال. تحقيق: سعد كريم الفقي. دار ابن خلدون، الاسكندرية. ص 13

الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقه"[8].

نلاحظ أن تعريف الشهرستاني يتقارب في بعده مع تعريف أبي حنيفة النعمان، غير أنه حدث تحولا في المفهوم، إذ كان الفقه هو محور التعريف عند أبي حنيفة، والذي يتراوح بين الفقه الأكبر والفقه الأصغر، بينما محور التعريف عند الشهرستاني هو "التكلم" والذي يتراوح بين التكلم في المعرفة والتوحيد وبين التكلم في الطاعة والشريعة.

- تعريف الآمدي ( ت631هـ ) فيقول " وأشرف العلوم إنما هو العلم الملقب بعلم الكلام الباحث في ذات واجد الوجود وصفاته وأفعاله ومتعلقاته"[9]، فعدّه من أشرف العلوم، ونلاحظ أن تعريفه يغلب عليه الطابع الفلسفي، فمدار علم الكلام عنده متعلق بذات الله وصفاته، وأفعاله وما يتعلق بهذه الذات، ومصدر ما حصل من اختلاط مباحث العِلمين: الكلام والفلسفة.
- تعريف الإيجي ( 756هـ ) يقول هو " علم يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد: ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد عليه الصلاة والسلام."[10]

وعرفه في موضع آخر بأنه " علم الكلام المتكفل بإثبات الصانع وتوحيده في الألوهية وتنزيهه عن مشابهة الأجسام ... وإثبات النبوة"[11]، في هذا التعريف الذي يبيّن فيه غاية علم الكلام وفيه يشير أنه موضوعه هو العقائد الدينية، ولم يخصصه للرد عن المخالفين وأصحاب العقائد الأخرى ومجادلة الكفار.

- تعريف ابن خلدون: ( ت807هـ ) يقول بأن علم الكلام هو" علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[12]، فقد بيّن بالتفصيل أن علم الكلام موجه ضد المبتدعة المنحرفين، من الذين ينسبون إلى الإسلام دون غيرهم من الكفار، وأن هذا العلم

---

8- أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل. تصحيح وتعليق: أحمد فهم محمد. ط2. دار الكتب العلمية، لبنان. 1992. ج1، ص 36

9 - سيف الدين الآمدي، غاية المرام في علم الكلام. تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة. 1970. ص 4.

10 - عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام. عالم الكتب، بيروت، لبنان. ص7.

11 - عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام. تحقيق: عبد الرحمان عميرة. ط1. دار الجيل، بيروت، لبنان. 1997. ص 21، 22

12 - عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. تحقيق محمد عبد الوهاب الدرويش. ط1. دار البلخي، دمشق. 2004. ص 205.

يقوم على الحجاج العقلية عن العقائد الإيمانية، مخالفا بذل بعض من سابقه، وأن مركز هذه العقائد هو التوحيد.

- تعريف الجرجاني ( ت816هـ ) يقول هو: " علم يُبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام والقيد الأخير لإخراج العلم الإلهي للفلاسفة."[13]، فنلاحظ في هذا التعريق تقاربا مع تعريف الآمدي و الإيجي حيث يقوم على لغة النطقية مستعملا أدوات المنطق والفلسفة اليونانية، ولكنه يقيد ذلك بقواعد الإسلام دون البحث في الوجود المحض على قاعدة الفكر المطلق.

ويورد في موضع آخر بأن علم الكلام هو " علم باحث عم أمور يُعلم منها المعاد وما يتعلق به من الجنة والنار، والصراط والميزان والثواب والعقاب، وقيل الكلام هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الأدلة"[14]

يستخدم المنهج الأنثروبولوجي في البحث آليات عدة لتحليل المفاهيم للوصول إلى تحليل المعاني المختلفة التي تحملها، ومن بين هذه الآليات، الآلية اللغوية والآلية التاريخية التي يمكن توظيفهما في هذا الموضوع.

## أولا: الآلية اللغوية

1 - نلاحظ من خلال مجموعة التعاريف السالف ذكرها كان أشهر الأسماء المعروفة لدراسة العقيدة ومسائلها فهو " علم الكلام" وقد أورد الدارسون آراء شتّى في تحليل مدلول هذه التسمية وتاريخ استعمالها، فتحدّث بعضهم[15] عن أسباب تسمية هذا الفن بعلم الكلام، فذكرها وفق التسلسل الآتي:

أ- لأن عنوان مباحثه كان قولهم: الكلام في كذا وكذا.

---

13 - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات. تحقيق: محمد الصديق المنشاوي. دار الفضيلة، القاهرة. ص 155.

14 - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط1. دار الكتاب العربي، بيروت. 1985. ص 237

15 - سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية. طبعة حجرية. 1304هـ ص 5- 7. (نقلا عن عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد؟ دار المصورات، الخرطوم. 2021. ص 30)

ب- ولأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه، وأكثر نزاعًا وجدالً، حتى أن بعض المتغلبة قتل كثيرًا من أهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن.

ت- ولأنه يورث قدرة على الكلام من تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم، كالمنطق للفلسفة.

ث- ولأنه أول ما يجب من العلوم التي تعلم وتُتعَلَّم بالكلام، فأطلق عليه هذا الاسم لذلك، ثمّ خصّ به و لم يطلق على غره تمييزًا له.

ج- ولأنه إنما يتحقّق بالمباحثة وإدارة الكلام بين الجانبين، وغره قد يتحقّق بالتأمل ومطالعة الكتب.

ح- ولأنه أكثر العلوم خلافًا ونزاعًا، فيشتدّ افتقاره إلى الكلام مع المخالفين والردّ عليهم.

خ- ولأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم، كما يقال للأقوى من الكلامين :هذا هو الكلام.

د- ولابتنائه على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية، أشدّ العلوم تأثرًا في القلب وتغلغاً فيه، فسمي بالكلام المشتقّ من الكلم.

2 - يتبيّن لنا من خلال تحليل هذه النماذج لمفهوم علم الكلام ، إنه يمكن أن استنتاج تصور لماهية هذا العلم، ويمكن القول أن علم الكلام موضوعه المسائل الاعتقادية الكبرى، أي الأصول الكبرى للدين، ولذلك سمي (علم أصول الدين)[16]، كما أن أساس الاعتقاد هو التوحيد؛ توحيد الله في ذاته وصفاته، فلذلك سمي علم الكلام أيضا (علم التوحيد والصفات)، ومن هنا تتضح ماهية وطبيعة الموضوعات التي يتناولها علم الكلام، فهو يتناول كل الموضوعات المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله.

3 - كما أن تناول مباحث الألوهية بالضرورة يستتبعه تناول مباحث لها صلة به، فأفعال الله تعالى تتضمن خلق الكون والكائنات، وإرسال الرسل والأنبياء، والقضاء والقدر، والخير والشر، والحشر والميعاد، وغيرها من الموضوعات، كما أن الأدلة التي وقد استخدم المتكلمون

16 - مصطفى بن عبد الله القطسنطيني الرومي الحنفي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. دار الكتب العلمية، بيروت. 1996. ج1، ص 334

أدلة لتدعيم الأصول الاعتقاد الإسلامي التي دعتهم في غالبها إلى تناول موضوعات طبيعية كالجوهر الفرد، والسببية، وغيرها، لذلك نجد كثير من الباحثين ينظر إلى علم الكلام على أنه هو ( الفلسفة الإسلامية الحقة)، وأن المتكلمين هم فلاسفة الإسلام الأصلاء[17] ، لأن من صميم البحث الفلسفي نظريات دقيقة ومذاهب محكمة تتقاطع مع المباحث الكلامية ، ولا تقل دقة وعمقا عن مذاهب الفلاسفة المشائين ونظرياتهم .ولكن تظل والهدف من جميع تلك الموضوعات التي تناولها علم الكلام خدمة المسائل الكبرى للعقيدة الإسلامية وتأييدها بالبراهين العقلية[18] .

4 - كما يمكن أن نستخلص التعاريف اختلافا في مقصود هذا العلم وغاية ، فمن المشتغلين بهذا العلم من يجعل الحجاج عن العقائد الإيمانية أساسا مع وجود غايات ثانوية أخرى تدور في فلك الغاية الأساس، ومنهم فريق آخر يجعل الغاية الأساس لعلم الكلام إثبات العقائد الإيمانية، ويجعل له غايات أخرى أيضا تدور في فلكه، ولهذا، إذا كانت الغاية هي الحجاج، فإن ذلك معناه قيامه على الحجاج منهجا لرد شبه المبتدعة والمبطلين والكفار، أما إذا كانت غايته الاستدلال على العقائد الإيمانية بالأدلة اليقينية أو العقلية لإثباتها، كان منهجه استدلاليا بما يقوم عليه الاستدلال.

5 - كما أنه من خلال التعاريف السابقة يمكن القول أن له مجموعة من الغايات والأهداف، فأولها وأساسها الدفاع عن العقائد الإسلامية ضد المبطلين، ثم تأتي بقية الأهداف، والتي منها إثبات هذه العقائد للمريدين، والاستفادة الذاتية للمؤمن بالترقي في مدارج الإيمان، والاستفادة العامة بالدعوة إلى الإسلام، ووضع أسس العلوم الشرعية الأخرى، وتوجيه معاش الجماعة الإسلامية في الدنيا وجهة الإسلام، والفوز بالسعادة في الآخرة[19] .

## ثانيا: تطور أبعاد المصلح وأثره من منظور أنثروبولوجي

يتبيّن لنا من خلال نماذج التعريفات التي ذكرنا أن علم الكلام نشأ كعلم ظاهر أحادي الوظيفة والهدف، وهو إثبات العقائد الإيمانية والرد على شبهات الملحدين والزنادقة، عبر عدة أطوار تاريخية

17 - المرجع نفسه، ص 221

18 - عبد الوهاب الشعراني، اليواقيت والجواهر. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر. 1959. ص 27.

19 - مصطفى بن عبد الله القطسنطيني الرومي الحنفي، المرجع السابق. ص 231.

بالأدلة النقلية تارة، والعقلية تارة أخرى أو بمحاولة التوفيق بينهما، فمن اعتماد على العقل عند المعتزلة، إلى توفيق ما بين العقل والنقل عند الأشعرية والماتريدية، إلى عدم التعدية لحرفية النص القرآني عند الحشوية، والفكر الخارجي ، هذا بالإضافة إلى بعض من التفلسف في بعض الآراء الكلامية التي أخذت عن العلم الطبيعي لإثبات وجود الله التي كانت محل اعتراض عند بعض المذاهب، والمدارس الكلامية، وذلك للاعتماد السافر على العقل، وجعل النصوص الشرعية خاضعة للقوانين العقلية البرهانية المعصومة من الخطأ والزلل ، وهو التيار الذي ساد بعد " ابن رشد و صدر الدين الشيرازي ".

1- أثر البعد السياسي: يتفق الدارسون على أن علم الكلام نشأ في فترة مبكرة في العقل الاسلامي[20] ، وكانت مجموعة من العوامل المحلية في الحياة الإسلامية من البواعث الأساسية تلك البواعث "الإمامة" لانبثاق هذا العلم، وقد تصدّرت مسألة الخلاف حولها فور التحاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، وما فتئت قضية الإمامة تستأثر باهتمام العقل الإسلامي وقتئذٍ، حتى أضحت من أهم مسائل التفكر العقائدي في حياة المسلمين.

2- التيارات الفكرية الوافدة: إن ما نلاحظه في المجتمع الاسلامي بعد الفتوحات إلى الشرق والغرب، واستقرارهم، توسع الأفكار، فبدأت تبرز مسائل فكرية في الدين تثير خلافات دينية، وأخذوا بالاجتهاد في بحثها والتوفيق بين مظاهرها، ويكاد يكون هذا مظهرًا عامًا في كل ما نعرفه من أديان، فهي أول أمرها عقيدة ساذجة قوية لا تأبه لخلاف، ولا تلتفت إلى بحث، ينفذ نظرها إلى أسس الدين فتعتنقها وتؤمن بها إيمانًا تامًا في غير ميل إلى بحث وفلسفة، ثم يأتي طور البحث والنظر الفكري نتيجة تدخل عوامل البيئة والمحيط تدفع بالناس للنظر فيها وصبغ مسائل الدين صبغة علمية فلسفية، وهو ما يدفع برجال الفكر إلى الفلسفة يستعينون بها في تدعيم حججهم وتقوية أدلتهم للبرهان بها، فقد كاد ينقضي العصر الإسلامي الأول في إيمان لا يعتريه من الجدل إلا القليل، لكن لما بدأ الناس في البحث في المسائل المستجدة أخذوا ينظرون ويبحثون، ويتوسعون في النظر والبحث، ويجمعون بين الأشباه والنظائر، ويستخرجون وجوه الفروق والموافقات، فكان ذلك يستتبع حتمًا اختلاف وجهة النظر، فاختلاف الآراء والمذاهب، والنسق لذلك، فإذا نظرنا إلى المسلمين الأوائل فقد كانوا يؤمنون بالقدر خيره وشره، ويؤمنون بأن الإنسان مكلف بما أمره الله به، وكان إيمانهم بذلك إيمانًا قويًا مجملًا من غير تعمق في بحث، ولا تفلسف في نظر؛ فجاء مَنْ

---

20 - الحسن بن محمد بن الحنفية، رسالة كتبت في الرد على القدرية: تحقيق وترجمة وتعليق :جوزيف فان إس :.المطبعة الكاثوليكية، بيروت . 1977 ، ص 3711

بعدهم يجمعون الآيات الواردة في هذا الموضوع ويفلسفونها ويذهبون بها مذاهب مختلفة تبعا لفهمهم لها وتحليلهم لأبعادها، ويحملون النصوص ما يوافق مذهبهم أو أحوالهم، فوضعوا نصوص القرآن موضع البحث العلمي الفلسفي، وأخذوا يوازنون بينها، فأدى ذلك إلى اختلاف طويل وجدال عميق.

إن الأبعاد التاريخية للسجال الفكري الذي وقع مع صدر الإسلام ظهر لبروز وقائع وأسباب وأحداث؛ وكان لتأثير بالتراث اليوناني والحضارات الشرقية، فقد اتسعت الفتوحات الإسلامية حتى بلاد فارس والشام ومصر حيث الثقافات الفلسفية الإلحادية المختلفة التي انتشرت للتشكيك في الإسلام، مما جعل المسلمين يتسلحون للرد على هؤلاء بنفس أسلوبهم الذي كان يعتمد على الفلسفة والمنطق ولكن هناك من تأثر بهذه الأفكار الغازية فتبناها وأخذ يدافع عنها رغم مخالفتها للعقيدة الإسلامية[21]، كما للصراعات السياسية المحتدمة دوارا بارزا بعد أن ظهرت إلى العلن بين سلاطين المعتزلة وأفراد الأشعرية في مشكلة "خلق القرآن"، ومحاولة العمل على وسطية للتقنين والتعميم والتوفيق ما بين النقل والعقل لفرض السيادة المذهبية الأشعرية بعد ذلك منذ عهد الخليفة المتوكل ليلقبوا أنفسهم " بأهل السنة و الجماعة "، في مقابل ذلك ظهرت فئة أخرى خرجت عن التفسير والتأويل، والسير على سطحية ظواهر النصوص عند الخوارج والحشوية، لتحقيق أهداف ذاتية، فهذه الاختلافات الفكرية جاءت نتيجة تحقيق توجهات سياسية على الأغلب.

21 - محمد علي أبو ريان تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية. 1992 . ص248، 249

## خاتمة ونتائج

علم الكلام الإسلامي هو فرع من الفلسفة الإسلامية يتعامل مع قضايا العقيدة والإيمان في الإسلام. ولكن إذا نظرنا إلى نشأته من منظور أنثروبولوجي، يمكن التحدث عن عدة أسباب:

- التأثيرات الثقافية: الكلام الإسلامي نشأ في سياق ثقافي معين وتأثر بالعوامل الثقافية المحيطة، وقد كان هناك تفاعل بين العقائد والتقاليد الثقافية للمجتمع.
- الاحتكام إلى العقل: علم الكلام يسعى إلى تقديم دلائل عقلية وفلسفية لدعم العقائد الدينية، هذا النهج يمكن أن ينشأ نتيجة لرغبة البشر في تفسير وفهم الأمور بشكل منطقي.
- تفاعل مع التصورات الدينية الأخرى: في السياق الثقافي والديني، قد تظهر تصورات مختلفة حول العقائد، فعلماء الكلام نشأوا لمناقشة ومقارنة هذه التصورات وتقديم تحليلات فلسفية لدعم المعتقدات الإسلامية.
- التطور التاريخي: الكلام الإسلامي نشأ في أوقات مختلفة من تاريخ الإسلام، وكانت هناك حاجة لمعالجة قضايا دينية وفلسفية معينة في كل فترة زمنية.

إذاً، يمكن تفسير نشأة علم الكلام الإسلامي من منظور أنثروبولوجي عن طريق فهم تفاعل العقائد الدينية مع الثقافة والتفكير البشري على مر العصور.

ينظر الأنثروبولوجيون إلى دور التطور الفكري في ظهور علم الكلام من منظور مهم في دراسة الثقافات وتطور الأفكار والمعتقدات، من الممكن أن تتضمن نظرتهم إلى هذا الموضوع ما يلي:

- تطور المفاهيم الدينية: يمكن للانثروبولوجيين دراسة كيف تطورت المفاهيم الدينية والعقائد عبر الزمن في إطار مجتمعات وثقافات مختلفة، هذا يشمل دراسة كيف تأثرت بالعوامل الثقافية والاجتماعية وكيف تطورت لتلبية احتياجات وتحديات كل مجتمع.
- العلاقة بين الفلسفة والدين: الانثروبولوجيون يدرسون كيف تطورت الفلسفة الإسلامية وكيف تم تأصيل العقائد الدينية في إطار فلسفي، يمكن أن يكون هذا مفيدًا لفهم التفاعل بين الفلسفة والدين وكيف أثر ذلك على تطوير علم الكلام.
- تأثير التطور الفكري على العلماء والعلوم: الأنثروبولوجيون يدرسون كيف تأثر العلماء والفلاسفة الإسلاميين بالتطورات الفكرية، وكيف أثر ذلك على عملهم في تطوير علم الكلام وفهم العقائد.

من خلال هذه النظرة الأنثروبولوجية، يمكن للباحثين أن يساهموا في فهم أعمق لكيفية تطور الأفكار والعقائد الدينية في السياق الثقافي والاجتماعي.

## مراجع البحث:


1- أبو منصور السمرقندي، شرح الفقه الأكبر. مراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الدوحة.

2- أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل. تصحيح وتعليق: أحمد فهم محمد. ط2. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1992.

3- أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال. تحقيق: سعد كريم الفقي. دار ابن خلدون، الاسكندرية.

4- أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم. المركز القومي للإنماء، بيروت، لبنان. 1991.

5- الحسن بن محمد بن الحنفية، رسالة كتبت في الرد على القدرية: تحقيق وترجمة وتعليق : جوزيف فان إس :.المطبعة الكاثوليكية، بيروت .1977 .

6- كمال الدين البياضي، إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. 2007.

7- محمد علي أبو ريان تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية. 1992.

8- مصطفى بن عبد الله القطسنطيني الرومي الحنفي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. دار الكتب العلمية، بيروت. 1996.

9- عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد؟ دار المصورات، الخرطوم. 2021.

10- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. تحقيق محمد عبد الوهاب الدرويش. ط1. دار البلخي، دمشق. 2004.

11- عبد الوهاب الشعراني، اليواقيت والجواهر. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر. 1959.

12- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات. تحقيق: محمد الصديق المنشاوي. دار الفضيلة، القاهرة.

13- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط1. دار الكتاب العربي، بيروت. 1985.

14- عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام. عالم الكتب، بيروت، لبنان.

15- عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام. تحقيق: عبد الرحمان عميرة. ط1. دار الجيل، بيروت، لبنان. 1997.

16- سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية. طبعة حجرية. 1304هـ

17- سيف الدين الآمدي، غاية المرام في علم الكلام. تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة. 1970.

18- صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم. تحقيق عبد الجبار زكار. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1978.